في إثر خطواته

بقلم

هاملتون سميث

منشورات بيت عنيا

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

مقدمة

"تاركاً لنا مثالاً لكي تتبعوا خطواته. الذي لم يفعل خطية، ولا وجد في فمه مكر. الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضاً. وإذا تألم لم يكن يهدد، بل كان يسلم لمن يقضي بعدل" (بطرس الأولى٢: ٢١- ٢٣).

احملوا نيري عليكم. وتعلموا مني. لأني وديع ومتواضع القلب، فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف" (متى١١: ٢٩و ٣٠). بينما نجد أن الرب يسوع المسيح يشغل الموضوع العظيم في كل الكتاب، فإن أجزاء عديدة منه تبرز جوانب خاصة عن شخصه الكريم وعمله المبارك. ويُظهر لنا النص الوارد أعلاه جزءاً مباركاً للغاية، إنها النعمة في اتضاعها التي ظهرت في حياة ذلك الإنسان الكامل، الذي سلك طريق الآلام.

ففي النص الأول يُحرضنا الرسول بطرس أن نتبع إثر خطواته، وفي النص الآخر، الرب نفسه، يدعو مؤمنيه أن يتعلموا منه. ومن المفيد أن يلتفت كل منا إلى هذا التحريض وليتجاوب مع أصداء النعمة ودعوتها. وإذا أردنا أن نفعل ذلك فلنسأل بكل احترام ما هي خطواته التي يُحرضنا الرسول أن نتبعها؟ وما الذي يريده الرب أن نتعلمه منه؟

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إثر خطواته

١بطرس٢: ٢١- ٢٣

لنصغ أولاً إلى تحريض الرسول. فلقد عبر يوم في تاريخ حياة بطرس، عندما قال له الرب بعد أن رد نفسه: "اتبعني" (يوحنا ٢١: ١٩). أما الآن فإن الرسول يضع أمامنا هذه الكلمات: "لكي تتبعوا (إثر) خطواته". ومع أننا نجد هذه الكلمات شائعة غالباً بين عموم المسيحيين وأيضاً بين المؤمنين الحقيقيين، إلا أنها غير واضحة المعنى وغامضة نوعاً ما لديهم.

فقد نجد، حتى بين غير المتجددين، أنهم يرددون هذه الكلمات، ولكنهم للأسف يرددونها بأفكارهم الخاطئة، ظانين أنه إذا تمسك الناس بممارسة وصايا الموعظة على الجبل فإنهم سيصبحون حقاً مسيحيين ممتازين، وبذلك يكونون في أمان من جهة خلاص نفوسهم. ومن المرجح فإن أولئك الذين يتكلمون بخفة عن اتباع خطواته فإنهم يشعرون بالفشل والضياع إذا رجعوا إلى هذا النص الكتابي، ومع ذلك فإنهم يفضلون تفسيراتهم الخاطئة لهذه الكلمات عن كونهم يقبلون المعنى الذي يقصده الروح القدس من هذا النص.

وبالرجوع إلى النص السابق نتعلم أن الرسول يخاطب مؤمنين. أولئك الذين يقول عنهم أنهم نائلين غاية إيمانهم خلاص نفوسهم (١بطرس١: ٩). ومن المؤكد أنه لا يوجد تحريض للخاطئ لكي يتبع إثر خطواته لعله ينال الخلاص. فبعيداً عن ذبيحة المسيح التي قدمها بموته، والإيمان بدمه الكريم فلا خلاص للخاطئ الهالك. والكتاب لا يستخدم "إثر خطواته" كبديل عن "عمله".

إذن فالتحريض أن نتبع إثر خطواته، موجه أساساً لمؤمنين، فضلاً عن كونه يستخدم بمعنى خاص جداً. هذا المعنى نتعلمه من أربع خطوات مميزة موضوعة أمامنا. ومن البين أن الكثير مما فعله الرب كان يرتبط بحياته المعجزية من إقامة الموتى إلى غير ذلك. وقيل أنه لم يتكلم إنسان قط مثل هذا. ولكن لا يُطلب منا أن نتبع إثر خطواته في مثل هذه الأمور. والأربع خطوات التي نحرص بأن نتبعها، يستطيع كل المؤمنين صغاراً وكباراً أن يسلكوا فيها.

فأولاً: يُذكّرنا الرسول بأنه "لم يفعل خطية"، ونعرف أنه كان يعمل أعمالاً حسنة، ويحرضنا الرسول مرة تلو الأخرى في ذات الرسالة أن نعمل "الأعمال الحسنة" ولا ننسى "فعل الخير". وهنا نجد التحريض يتخذ صيغة النفي.. فعلينا أن نتبع إثر خطواته من جهة أنه لم يعمل خطية. فمهما حدث وكيفما واجهتنا الظروف وتحدتنا، ومهما كانت الأخطاء التي نعاني منها، والإهانات التي علينا أن نحتملها، فلا يجب أن نخطئ. وقد يصبح من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

السهل أحياناً أن نعمل حسناً لكوننا محبين للخير وأن نسدد أعواز الآخرين، ولكن لكون الجسد فينا ففي بعض الأوقات يكون من الصعب ألا نعمل خطية. وأنه لشيء عظيم ألا نعمل خطية عندما تتحدانا الظروف الصعبة من أن نعمل الخير في الأوقات السهلة. كان الرب يسوع كاملاً في كل الظروف التي علينا أن نواجهها فإن أول ما نحرص عليه في حياتنا أن نتبع إثر خطواته وأن نتمسك بصفاته بألا نعمل خطية. إنه من الأفضل أن نحتمل الأخطاء من الآخرين عن كوننا نخطئ، ومن الأفضل أيضاً أن تتخلى عن ثوبك من أن تتنازل عن صفة المسيح التي تظهرها.

وثانياً: نقرأ "ولا وُجد في فمه مكر". فعلى الرغم مما لاقاه من قسوة موجعة من الأشرار، ولكن لم تخرج من شفتيه كلمة- سواء في سؤال طرحه أو إجابة أعطاها- مما تشوه خطواته بالخداع أو المكر. أما نحن فبالأسف، في أوقات كثيرة، فالحسد والخبث يختفيان وراء كلماتنا التي هي "أنعم من الزبدة" و"ألين من الزيت". ولكن الرب لم تكن عنده دوافع شريرة تكمن خلف كلماته. أما عن الفريسيين فعندما سألوا الرب سؤالاً بدا في ظاهره بريء ولكنه كان يخفي الخبث من ورائه، قالوا له: "أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر أم لا؟". نقرأ عنهم أنهم "تشاوروا لكي يصطادوه بكلمة" (متى ٢٢: ١٥- ١٨). وطالما الجسد فينا فمن المحتمل جداً أن ننشغل باصطياد أحدنا الآخر بالكلمات الناعمة والتساؤلات التي تبدو بريئة. وللأسف فإننا نُخفي أحياناً هجومنا على الآخرين بالكلمات التي نتخاطب بها مع الله في الصلوات الجهارية. يا له من تحريض جميل وأساسي أن نتبع خطواته ذاك الذي لم يوجد في فمه غش.

وثالثاً: ثم يُذكّرنا عن الرب أنه "إذا شتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يهود" ففي مواجهة الشتائم والاتهامات الكاذبة والأحقاد، فإنه ظل صامتاً. وعندما انبرت الافتراءات الكاذبة عليه أمام المجمع اليهودي بقي محتفظاً بسلامه، وأمام بيلاطس "لم يُجب بشيء، ولبيلاطس نفسه "لم يُجب بكلمة". أما هيرودس الذي كان يسخر منه فقد "سأله بكلام كثير فلم يُجبه بشيء" (متى٢٦: ٦٣، ٢٧: ١٢، ١٤، لوقا٢٣: ٩). وكم هو حسن لنا أن نتبع إثر خطواته، وفي مواجهة كلمات الناس الماكرة التي تأتينا من أي مكان، فعلينا أن نبقى ساكتين. ومن أجزاء أخرى في الكتاب يتضح أن المسيحي يمكنه أن يُحذّر وينصح وينتهر ولكنه ليس عليه أن يشتم أو يهدد مطلقاً.

ورابعاً: أنه كان يُسلّم لمن يقضي بعدل". ما رأيناه أنه لم يفعل خطية، ولا وُجد في فمه مكر، وأمام كلمات التهديد ظل صامتاً، هذه صفات مسبوقة بأدوات نفي، أما الخطوة الأخيرة فهي صفة إيجابية. فعندما نواجه الشتائم فإننا لسنا فقط لا نجيب على الشر والخبث، بل بالحري نترك الإجابة مع الله. وغير مسموح لنا مطلقاً أن ننتقم من فاعلي الشر فالله يحتفظ لنفسه بمطلق سلطانه أن ينتقم كل النقمة. قال: "لي الانتقام وأنا أجازي يقول الرب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأيضاً الرب يدين شعبه (عبرانيين١٠: ٣٠). إن نصيبنا إذن أن نتبع خطوات الرب يسوع، وعند مواجهة الاتهامات فلنستودع أنفسنا لمن يقضي بعدل، متذكرين القول: "لا تنتقموا لأنفسكم، بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب لي النقمة أنا أجازي يقول الرب" (رومية١٢: ٩). ونستعيد مرة أخرى قول النبي "طيب هو الرب للذين يترجونه، للنفس التي تطلبه. جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب" (مراثي٣: ٢٤- ٢٦).

رأينا هنا أربع خطوات اتخذها الرب في كماله، ونحن نُحرَّض بأن نتبعه في تلك الخطوات عينها. ولكن لا نجد في تلك الخطوات أية كلمة عن الخدمة أو أية مظهر لها تجعلنا منظورين لدى العالم أو تعطينا أولوية بين شعب الله. ولكن إذا اتبعنا هذه الخطوات بصورة عملية فإن إخوتنا لن يصابوا بخيبة الأمل فينا. وأيمكننا أن نقول أنه إذا سرنا في هذه الخطوات عينها فإن الآخرين سيجدوا فينا أعظم منظر مدهش يمكن أن يرى في هذا العالم- سيرون المسيح في مظهر إنسان.

وحاشا أن نستخف بالخدمة الحقيقية للمسيح، بل لا ننسى أن نجوب العالم مسافرين لنخدم بل أن نكرز للآلاف من الناس. وربما تكون أسماؤنا في محيط الدوائر الدينية معروفة، وخدمتنا تسجل مكتوبة في حينها، وهذا كله سوف لا يُعطي تقديره في نظر الله إذا كانت الخطوات الأربعة هذه ناقصة عندنا. لنتذكر أنه حتى لو تكلمنا بألسنة الملائكة فقد نصبح كلا شيء، ففي يوم آتٍ ربما نجد آلاف العظات الجميلة التي قدمناها التي سببت لنا كبرياء نفوسنا والتي مدحنا الناس عليها. ستُوجد كلها تراباً وقشاً، بينما القليل الذي أظهر حياة المسيح فينا والتي ربما نسيناها، ستلمع ببهائها في ذلك اليوم وتنال المكافأة. إن تلك الخطوات الأربعة لن تجعلنا مرموقين في يومنا هذا، بل ستذهب بعيداً إلى أمجاد الملكوت في يوم قادم. ويحسن لنا أن نتذكر هذه الكلمة. "ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين والآخرون أولين" (مرقس١٠: ٣١).

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تعلموا مني

متى ١١: ٢٩و ٣٠

تكون لنا معونة عظيمة عندما نتمم وصية الرسول "تتبعوا خطواته"، إذا كنا ننتبه إلى كلمات الرب "تعلموا مني". ولكي ما نتعلم من الرب فعلينا أن "نتفكر في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه".

وفي الإصحاحات الأولى من إنجيل متى نرى الرب في وسط إسرائيل، وهو يتعامل بالنعمة والقوة لإطلاق الناس من كل عبودية يرزحون تحتها. فقد شفى المرضى وأطعم الجياع وألبس العرايا وحرر من سلطان إبليس وغفر الخطايا وأقام الموتى. ونتيجة ذلك أن الناس حاربته وقاومته بلا سبب، وكافأته شراً بدل خير وبغضاً بدل حبه (مزمور١٠٩: ٥). وضحكوا استهزاءً به. وقالوا: "برئيس الشياطين يُخرج الشياطين" وأنه "إنسان أكول وشريب خمر" (متى ٩: ٢٠، ٣٤، ١١: ١٩).

وفي مواجهة مقاومات الخطأة التي أبغضته ورفضت بازدراء محبته، وأمام شرهم الذي احتقر إحسانه، فماذا عمل؟ إنه مع كل هذه العداوة نقرأ "أما أنا فصلاة" (مزمور١٠٩: ٤) فبدلاً من أن يتحول إلى مقاوميه لكي يشتم الذين شتموه، فإنه يتحول إلى الله في الصلاة مستودعاً نفسه لمن يقضي بعدل.

ولهذا ففي المشهد العجيب الموصوف في متى ١١ الذي يلخص لنا تأثير أعمال قوته في وسط إسرائيل، فقد يُسمح لنا أن نرى كيف يعمل الرب عندما يُحتقر ويُرفض من الناس. نراه يتحول إلى الآب في الصلاة، ونسمعه يقول "نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك". لقد خضع تماماً لإرادة أبيه وهو ينال كل شيء من يده ولذلك نراه أمامنا كالمثال الكامل، ونسمعه يقول "احملوا نيري عليكم وتعلموا مني".

وفي الكتاب "النير" صورة للخضوع لإرادة آخر. ومن البداية إلى نهاية طريقه العجيب في هذا العالم، فإن الرب كالإنسان الكامل كان هنا لأجل إرادة الآب. وعند مجيئه إلى العالم أمكنه أن يقول "هأنذا أجيء لأفعل مشيئتك يا الله" وفي عبوره هذا العالم أمكنه أن يقول: "لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني". ومرة أخرى يقول "لأني في كل حين أفعل ما يرضيه". وعند خروجه من العالم قال عن الصليب "لتكن لا إرادتي بل إرادتك" (عبرانيين١٠: ٩، يوحنا٦: ٣٨، ٨: ٢٩، لوقا ٢٢: ٤٢).

إن القليل الذي نتعرض له من ظروف متنوعة كيفما كانت مؤلمة ومحزنة في أوقات كثيرة، فهي لا تقاس إذا قورنت بما واجهه الرب نفسه. وعموماً فإننا نحرص بأن نحمل نير الرب هادئين وخاضعين لما يسمح به الرب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفضلاً عن ذلك، يقول الرب "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب". فهو ليس وديعاً ومتواضعاً في أسلوب حياته فقط. ولكنه وديع ومتواضع القلب، فالأسلوب الصحيح الذي يراه الناس يمكن أن يحاكيه المرء بسهولة، أما حالة القلب الصحيحة التي يراها الرب فقط فهي نتيجة التحول إلى الرب في الصلاة والخضوع لمشيئة الآب. ونحن بالطبيعة لسنا ودعاء ولا متواضعين، فبدلاً من الوداعة التي تقدم الآخرين عني فإننا نؤكد على أنفسنا، وبدلاً من أن تكون أفكارنا عن أنفسنا وضيعة فإننا بالطبيعة نميل إلى التأكيد على أهميتنا ولكي نصحح كل هذه الميول الطبيعية للجسد فإن الرب يشغلنا بنفسه كما يقول "تعلموا مني". فكلما تطلعنا إليه وتعجبنا من صفاته الجميلة هذه، فإننا دون أن نشعر نتحول ونتغير إلى صورته، ونصبح أدبياً مشابهين لذاك الذي كنا نتعجب منه، ولكن للأسف فالحقيقة أننا غالباً ما يكون تشبهنا به قليلاً، وهذا يكشف بوضوح أننا قليلاً ما تنشغل نفوسنا به وقليلاً ما نتعلم منه.

فإذا حملنا نيره وتعلمنا منه سنجد راحة لنفوسنا. وفي الظروف المؤلمة التي نواجهها حيث تتهيج نفوسنا من جراء الإهانات التي تنصّب علينا، فإن خيانة الأصدقاء الكذبة، وخبث الذين يحقدون علينا لا تجعلنا مستريحين. أما الخضوع لما يسمح به الآب والإمساك بجمال روح المسيح في كل وداعته وتواضعه كما نتعلم منه، فإننا نستمتع بالراحة التي كانت دائماً هي نصيب الرب في هذا العالم غير المريح.

وفضلاً عن ذلك، فإذا حملنا نيره، وخضعنا لإرادة الآب فسنجد نيره هين وحمله خفيف. ولذا ففي اتباع خطواته، لا نفعل خطية، ولا نتكلم بمكر، ونصمت في مواجهة الإهانات ونسلم أنفسنا لله، عندئذ تكون لنا مؤازرته ومعونته كمن نحمل معه النير في الخضوع لإرادة الآب، وهكذا في معونته وفي الشركة معه سنجد حقاً تلك الكلمات "نيره هين وحمله خفيف".

لذا عندما نقرأ هذه الكلمات في الكتاب. فإن بطرس لا يحرضنا على اتخاذ خطوات مستحيلة، ولم يطلب من الرب أن نتعلم دروساً مستحيلة فبطرس يحرضنا:

ألا نعمل خطية

ولا نكن ماكرين

وأن نصمت عندما تواجهنا الإهانات

وأن نستودع أنفسنا لله

أما الرب فيطلب منا أن نتعلم منه، بالخضوع لإرادة الآب، وبالوداعة التي تنشغل بالآخرين، وبالتواضع الذي لا يفكر في الذات.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.
لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com